تجارة الموصل في مختلف العصور

سعيد الديوه جي

١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م

تجارة الموصل

في اختلاف العصور

تجارة الموصل

في اختلاف العصور

سعيد الديوه‌جي

١٤٣٤هـ ــــــــــــــــــــــــــ ٢٠١٣م

- **الكتاب: تجارة الموصل في اختلاف العصور**
- المؤلف: سعيد الديوه جي

- الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م
- رقم الإيداع في دار الكتب للوثائق في بغداد ٢٦٧١ لسنة ٢٠١٣م

- عدد الصفحات: ٤٠
- قياس الصفحات : ٤,٧٥ × ٣ × ٨ سم
- بلد الطبع: جمهورية العراق
- خطوط: عبدالرزاق الحمداني

طبع بمطابع:



مديرية دار ابن الأثير للطباعة والنشر

جامعة الموصل- الموصل- العراق

البريد الإلكتروني daribnalatheer@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

من المقالات التي نشرها الوالد – رحمة الله عليه – "تجارة الموصل في اختلاف العصور"، وقد وردت التجارة على نحو مفصل في الكتب التي أصدرها الوالد، وبخاصة في: تاريخ الموصل، الموصل في العهد الأتابكي، أعلام الصناع المواصلة، بحث في تراث الموصل وغيرها من الكتب الأخرى، عليه رأيت من المفيد أن أعيد نشر المقالات هذه معززة بالصور التي لها علاقة بالموضوع أملاً أنْ يستفيد منها القراء.

هذه المقالات كانت قد نشرت في مجلة غرفة تجارة الموصل وبأعداد ثلاثة: الأول، والخامس والسادس/السنة الأولى ١٩٧٤.

وقد قمت بإعادة طبعها وتعزيزها بالصور التي توفرت لدي من أسواق ومهن وصور متعددة عن مدينة الموصل، كما أضفت فقرات جديدة عن ماهية الأكلاك والتي حصلت عليها من مصدر حديث الطبع ذكرته في قائمة المصادر.

ولعل مادة الكتاب هذه جاءت على نحو غير مفصل، ذلك أني لم أدخل في التفاصيل التي وردت في كتب الوالد من حيث: أبواب الموصل، الأسواق، الخانات، الجسور، طرق المواصلات وموضوعات أخرى، ذلك أنها تم تناولها في: تاريخ الموصل، والموصل في العهد الأتابكي،

الموصل أم الربيعين، بحث في تراث الموصل وكتب أخرى، كل الذي سعيه له هو جمع وإصدار كل ما هو متاح لدي من مقالات وأبحاث وكتابات لم تنشر، أن أقوم بنشرها وعلى نحو يتناسب وأهمية هذه المقالات، ذلك أني أحتفظ بمجموعات من هذه المقالات والأبحاث التي لم تنشر، فبعونه تعالى سنبذل كل ما وفقنا الله تعالى إليه لإخراجها إلى النور.

وخالص الشكر للدكتور منذر خضر يعقوب المهتدي المدرس في كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة الموصل على جهوده المستمرة ومعاونته المخلصة في إخراج العناوين هذه، سائلاً المولى تعالى أن يوفقه لما فيه الدنيا والدين.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور ذنون الطائي – مدير مركز دراسات الموصل في جامعة الموصل– على ما قدمه من معلومات مفيدة في سبيل إعادة إصدار مؤلفات الوالد.

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما قدمناه ، والله الموفق.

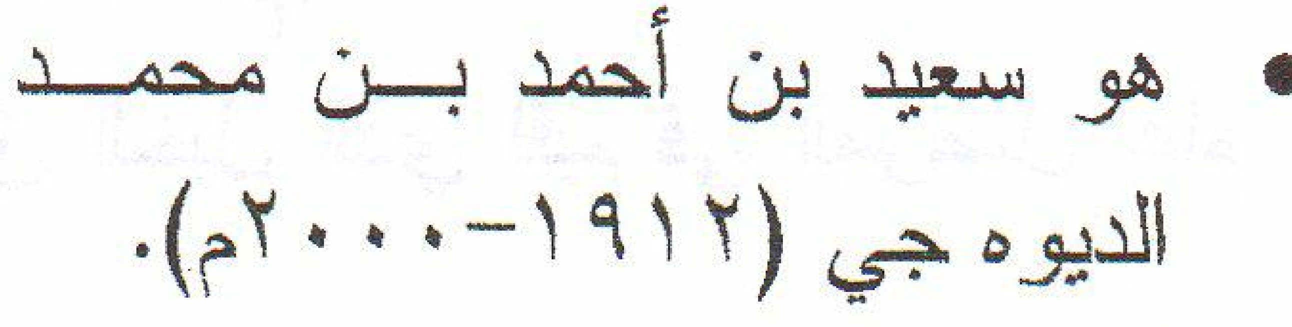
الدكتور

أبي سعيد الديوه جي

الموصل في

رمضان ١٤٣٤هـ

تموز ٢٠١٣م



سيرة المؤلف


سعيد الديوه جي

- هو سعيد بن أحمد بن محمد الديوه جي (١٩١٢-٢٠٠٠م).
- أكمل دراسته الأولية والثانوية في الموصل، وتتلمذ على يد عمّه الشيخ عثمان الديوه جي (١٨٦٨-١٩٤١م)، ووالده الشيخ أحمد الديوه جي (١٨٧٢-١٩٤٤) اللذين كان لهما مجالس علم وفقه في دارهما، ثمّ التحق بدار المعلمين العالية في بغداد وتخرج منها سنة ١٩٣١م.
- اشتغل في التعليم والتدريس، ثمّ نقل إلى مديرية الآثار العامة في عام ١٩٥١م بعنوان مدير الأبحاث الإسلامية.
- عمل كأول مدير لمتحف الموصل منذ عام ١٩٥٢م لغاية احالته على التقاعد عام ١٩٦٨م، وبعد خدمة تجاوزت الستة والثلاثين عاماً، عكف فيها على المتابعة وإصدار الكتب والمجلات.
- انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٥م.

- **مؤلفاته**

١. الفتوة في الإسلام، الموصل، ١٩٤٠م، ١٩٤٥م، ٢٠١٣م.
٢. الأمير خالد بن يزيد، دمشق، ١٩٥٢م.

٣. بيت الحكمة، الموصل، ١٩٥٥م، وأعيد طبعه في الموصل عـــام ١٩٧٢م.
٤. الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام، الموصل، ١٩٥٥م.
٥. عقائل قريش، القاهرة، ١٩٥٤م، وأعيد طبعه في الموصل عـــام ١٩٥٥م، ومن ثمّ بيروت عام ٢٠١٣م.
٦. دليل المعرض الحيواني وسباق الخيل الذي أقيم في الموصل عام ١٩٥٥م.
٧. الموصل في العهد الأتابكي، بغداد، ١٩٥٥م.
٨. جوامع الموصل في مختلف العصور، بغداد، ١٩٦٣م، والموصل ٢٠١٢م.
٩. نشرة تاريخية عن مدينة الموصل، طبعتها الجمعية الطبية العراقية في الموصل، ١٩٦٤م.
١٠. الموصل أم الربيعين، بغداد، ١٩٦٥م.
١١. دور العلاج والرعاية في الإسلام، الموصل، ١٩٦٦م.
١٢. أشعار الترقيص عند العرب، وزارة الثقافة والإعلام العراقيـــة، بغداد، ١٩٧٠م، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م، وبيروت عام ٢٠١٣م.
١٣. أعلام الصناع المواصلة، الموصل، ١٩٧٠م.
١٤. مخطوطات المكتبة المركزية في الموصـــل، المجمـــع العلمـــي الثقافي، بغداد، ١٩٦٧م.
١٥. مخطوطات خزانة سعيد الديوه جي، القاهرة، ١٩٦٣م.
١٦. اليزيدية، الموصل، ١٩٧٣م، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٧. تقاليد الزواج في الموصل، الموصل، ١٩٧٥م.
١٨. بحث في تراث الموصل، الموصل، ١٩٨٢م.
١٩. تاريخ الموصل، الجزء الأول، نشره المجمع العلمـــي العراقـــي، الموصل، ١٩٨٢م.

٢٠.تاريخ الموصل، الجزء الثاني، الموصل، ٢٠٠٠م.
٢١.التربية والتعليم في الإسلام، وزارة الأوقاف العراقية، الموصل، ١٩٨٢م.
٢٢.صناعة النسيج في الموصل، أصدرته المنشأة العامة للغزل والنسيج في الموصل، ١٩٨٧م.
٢٣.الموجز في الطب الإسلامي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والنشر، الكويت، ١٩٨٩م.
٢٤.شعر الجاحظ، بيروت عام ٢٠١٣م.
٢٥. دور العلم في الموصل، بيروت، ٢٠١٣م.

- **الكتب التي حققّها**

❖ منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، لياسين بن خير الله الخطيب العمري، الموصل، ط٢، ٢٠١٠م.
❖ منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، لمحمد أمين العمري، الموصل، ١٩٦٥م.
❖ ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء، لأحمد بن الخياط الموصلي، الموصل، ١٩٦٦م.
❖ مجموع الكتابات المحررة في أبنية الموصل، لنيقولا سيوفي، الموصل، ١٩٥٦م.
❖ أرجوزة السيد خليل البصير، نشرها المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٧م.

وكتب في عشرات المجلات العلمية في العراق وخارجه، وترجمت كتبه إلى بعض لغات العالم وبخاصة تلك التي تتناول الجوانب المتعلقة بالتربية والتعليم في الإسلام، كما ساهم في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية داخل العراق وخارجه، ونال العديد من التكريمات المحلية والعالمية.

تجـارة الموصل
في اختلاف العصور

تتوقف تجارة البلد على موقعها وحاصلاتها وصناعتها، وعلى طـرق التجارة التي تمر بها، وما يجاورها من الأقطار الأخرى.

وتمتاز الموصل بخيراتها الوفيرة، تكثر فيها زراعة الحبوب والبقـول والأثمار والفواكه، كما تربى المواشي والحيوانات والخيول في الـسهول الواسعة التي تحف بها، فهي من المناطق الخـصبة الغنيـة بحاصـلاتها الزراعية والحيوانية، وتلتقي بها عدة طرق تجارية، تصل بـين جنـاحي الهلال الخصيب ومنها تؤدي إلى أقطار الـشرق والغـرب، فهـي مـن المراكز المهمة في توزيع التجارة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا.

وأن الدول المتعاقبة في حكم هذه البلاد، كانت تحرص علـى توسـيع عمارتها وتسهيل المواصلات إليها، للاستفادة من خيراتهـا، وبمـا يـرد أسواقها من البضائع والحاصلات المتنوعة من مختلف الأقطـار، ومـن موقعها الذي يسيطر على طرق المواصلات التي تؤدي إلى عدة أقطـار، كما أنها من المراكز الحربية في سوق الجيوش إلى البلاد المجاورة لهـا. وإخبارها في هذا كثيرة في اختلاف العصور.

سكن العرب الموصل قبل الإسلام وتوسع عمرانها في الإسلام، مـن هاجر إليها من القبائل العربية، وسكنوا مع إخوانهم العرب الذين كـانوا فيها قبل الإسلام، فكانت من المدن العربية المهمة في الهلال الخـصيب. ومما يدلنا على توسعها وزيادة ثروتها بفضل عدل الفاتحين، أن خراجها بلغ أربعة ملايين درهم في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠هـــ= ٦٦٠- ٦٧٩م) ثم زاد خراجها على ستة ملايين درهم في خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ= ٦٨٤- ٧٠٥م) ذلك لأن الأمويين كانوا

يعنون بها لموقعها الاقتصادي وأهميتها الحربية، فكانوا يولون عليها أحسن الولاة إدارة وأحبهم للعمران والتنظيم.

تولاها سعيد بن عبد الملك في خلافة أبيه، واهتم هذا في عمارة المدينة وتوسيع مرافقها التجارية، وتسهيل طرق المواصلات، فبنى سوقاً واسعاً سميت بـ: سوق سعيد، ورصف طرق المدينة بالحجارة وحفها بسور منيع وتولاها الحر بن يوسف الأموي (١٠٦- ١١٣هـ = ٧٢٤- ٧٣١م) وكان الماء بعيداً عن المدينة، فشق لها نهراً يأخذ ماءه من دجلة، وينساب تحت المدينة فسهل على السكان أخذ الماء، وغرس البساتين، كما أنشأ عدة فنادق تكون لنزول التجار الذين يقصدون المدينة.

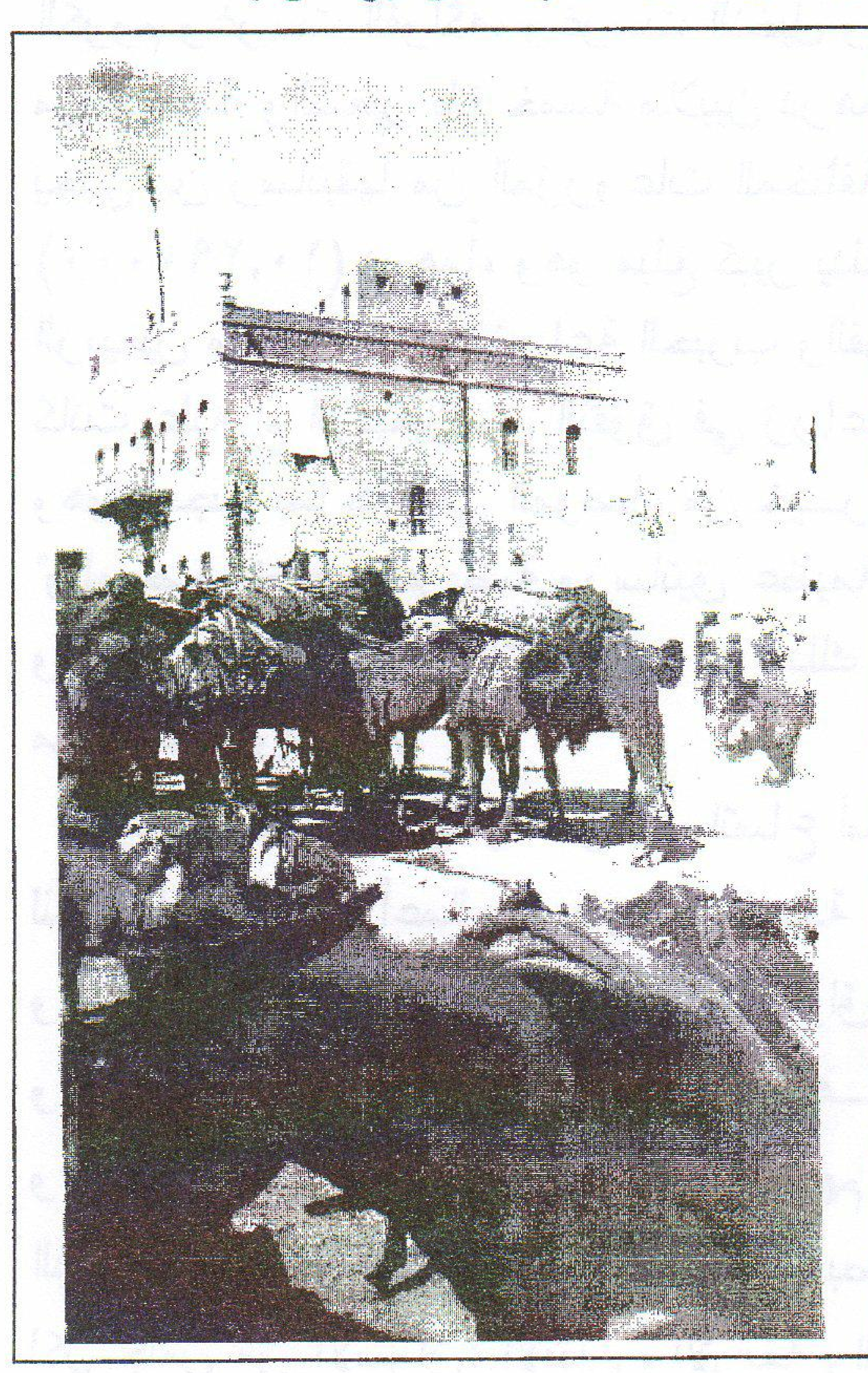


سوق الميدان فى الموصل عام ١٩٢٠م

وفي أوائل القرن الثاني للهجرة تولاها مروان من محمد عندما تولى بلاد الجزيرة فاتخذها قاعدة لبلاد الجزيرة ونقل إليها الدواوين، وسهل أمر المواصلات مع الجانب الشرقي، فمد لها جسراً فوق دجلة، فصارت

الموصل من أكبر بلاد الجزيرة: كثرت فيها الأسواق والخانات والفنادق والحمامات التي تؤمن راحة أهل القوافل والتجار الذين يرتادونها.

وفي سنة ١٣٣هـ فتك العباسيون بأهل المدينة- لأن البلد كان أموياً- ولكن بعد بضعة سنين هب أهل البلد واستأنفوا أعمالهم الصناعية والزراعية والتجارية، حتى بلغت جبايتها في خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ = ٧٨٦- ٨٠٩م) ٢٤ مليون درهم وعشرون ألف رطل عسل، وزاد خراجها في خلافة المعتصم (٢١٨-٢٢١=٨٣٣-٨٣٦م) على ستة ملايين دينار في السنة، كان ذلك بفضل تجارتها الواسعة، وخيراتها الكثيرة.



البلدية القديمة قرب الجسر الحديدي عام ١٩٢٥م

وفي أواخر القرن الثالث للهجرة (٢٩٣-٣٦٧هـ= ٩٠٥-٩٧٧م) استقل بها الحمدانيون واتخذوها قاعدة لدولتهم، وعنوا بالزراعة والتجارة، خاصة في زراعة القطن والأرز والحبوب، وذكر ابن حوقل(١) ما شاهده من اهتمام بهذا فقال: "ولم يكن بها كثير شجر ولا بساتين إلاّ التافه القليل

(١) ابن حوقل، محمد أبو القاسم، "مسالك والممالك للاصطخري"، ١٨٠٠م، لندن.

اليسير، فلما تملك بنو حمدان ورجالهم، غرسوا فيها الأشجار وكثرت الكروم وغرست الفواكه، وغرست النخيل والخضر... " وذكر أن ما جبي من الحنطة والشعير بلغ خمسة ملايين درهم.. ثم ذكر مفصلاً ما كان يجبى من رساتيقها من المزروعات المختلفة. وبلغ ما جبي عنها جميعاً (١٠,٢٩٠٠٠٠) درهماً، وهو مبلغ كبير يدلنا على ما كانت عليه أم الربيعين من التفوق في زراعة الحبوب والفواكه والقطن، وهو معجب بما كانت عليه أم الربيعين من التفوق في زراعة الحبوب والفواكه والقطن، وهو معجب بما كان في الموصل من خيرات ورخاء فيقول عنها: "وللموصل نواح وعريضة ورساتيق عظيمة، وكور كثيرة، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي، إلى غير ذلك من أسباب النتاج، والسائمة من الأغنام والكراع.

ويصف لنا تجارتها وعمارتها واتساع أسواقها وكثرة مرافقها: "إن للموصل أضعاف أعمال نصيبين في فسحة الأعمال، وكثرة الضياع وعظم المحل، وغزر السكان وأهل الأسواق، إذ كانت أسواقها واسعة وأحوالها في الشرف والفخم ظاهرة، وهي مدينة أبنيتها بالجص والحجارة، كبيرة غناء، وأهلها عرب، ولهم بها خطط، وأكثرهم ناقلة البصرة والكوفة، وكانت من عظم الشأن بصورة أكابر البلدان، وكان بها لكل جنس من الأسواق: الاثنان والأربعة والثلاثة، مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد، وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات، ما دعت إليها سكان البلاد النائية فقطنوها، وجذبتهم إليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها، وهي فرضة لأذربيجان وأرمينية والعراق والشام".

فكانت أم الربيعين- في القرن الرابع للهجرة- من أعظم البلدان في الشرق، رحل إليها الناس من مختلف الأقطار وسكنوها لوفرة خيراتها ورخص أسعارها، وكثرة تجارتها، حتى ضاقت بسكانها، فخرجوا إلى الأرباض المحيطة بها وعمروها.

وأعجب البشاري المقدسي- وهو من أهل القرن الرابع للهجرة[٢]- بكثرة خيراتها وجمال عمرانها، وسعة تجارتها فقال عنها: "بلد جميل، حسن البناء، طيب الهواء، صحيح الماء كبير الاسم، قديم الرسم، حسن الأسواق والفنادق، كثير الملوك والمشائخ، لا يخلو من إسناد عال وفقيه مذكور، منها ميرة بغداد، واليها قوافل الرحاب، وله متازه وخصائص، وثمار حسنة، وحمامات سرية، ودور بهية، ولحوم جيدة، وأمور جامعة.."

فهي من المراكز التجارية الكبيرة في الشرق، يردها مختلف البضاعة والتجارة، وتصدر منها إلى الأقطار.

وكانت ميرة بغداد من الموصل، تنحدر منها يومياً الاكلاك الكثيرة، محملة بما تحتاجه دار السلام من مواد العيش والترف والنعيم.

فيصلها من مواد العيش: الدقيق والسكر والعسل والسمن والجبن والمن والشحوم وحب الرمان والطريخ[٣] والنمكسود والدراج والسماني.

وترسل إليها المنسوجات الموصلية المتنوعة: القطنية والصوفية والحريرية، والمسموح والمقارم والستور وغيرها.

ويشحن إليها أيضاً: الفحم والقير والحديد والاسطال والسكاكين والسلاسل والنشاب ونعل الخيل.

واتسعت عمارتها عما كانت عليه، وجمع الحمدانيون ثروة طائلة بتفوق زراعة الموصل وتجارتها، وحتى كانوا من أغنى ملوك العالم- على ما ذكره المؤرخون.

---

(٢) المقدسي، البشاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ١٩٠٦م، مصر.

(٣) الطريخ: سمك يملح ويكبس، وكان يحمل إليها من بحيرة أورمية، والنمكسود: اللحم إذا جفف نيئاً.

وخلف العقيليون الحمدانيين في حكم البلاد (٣٦٨-٤٨٦هـ=٩٧٨=١٠٩٣م) وكان حكمهم مضطرباً، يسوده المنازعات والحروب، فتوقفت تجارتها وقلت زراعتها.

ثم انتزع السلاجقة منهم الحكم (٤٨٦-٥٢١هـ=١٠٩٣-١١٢٧م) وزادت الاضطرابات والحروب على الملك، فهجر الموصل كثير من سكانها، فتقلصت اقتصادياتها بتأخر التجارة، وقلة الزراعة، وصارت الفواكه فيها نادرة، وذكر "عز الدين بن الأثير" في كامله، نقلا عن والده: "إن الموصل صارت أقل بلاد الله فاكهة، حتى كان الذي يبيع الفواكه، يحمل معه مقراضاً يقص به العنب- لقلته- إذا أراد أن يزنه، وهجر الفلاحون أكثر القرى لكثرة المصادرات التي كانت من أرباب الحكم- بعد أن كانت هذه القرى مورد خير وثروة للبلاد.

ثم استقل عماد الدين زنكي في البلاد، ووسع دولته في الهلال الخصيب- فكانت الدولة الأتابكية "(٥٢١ -٦٦٠هـ= ١١٢٧- ١٢٦١م) واهتم الأتابكيون بعمارة البلاد بما نشروه من العدل والاطمئنان، وإنصاف الكسبة، وقلة الضرائب التي فرضوها، فتراجع الناس إلى الموصل وعمروها.

وذكر ابن الأثير(٤) عن تقديم الزراعة في هذا العصر فقال: "فلما عمّرت البلاد، عملت البساتين بظاهرها وفي ولايتها، فهي اليوم أكثر بلاد الله فاكهة، فالرمان يبقى إلى أن يدرك العتيق الجديد، وكذا الكمثرى، وقريب منه العنب والتفاح، فيجمع العتيق الجديد ..."

وبلغت قرى الموصل ٦٠٠٠ قرية، ومنها ٣٧٠٠ قرية في الجهة الشرقية، و٢٣٠٠ قرية في الجهة الغربية.

وازدهرت الصناعة في الموصل، وصارت من المراكز المهمة في العالم بإنتاج المنسوجات المختلفة، الدقيقة والثمينة، والتي كانت تحمل إلى

---

(٤) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري، "الكامل في التاريخ"، ١٢٥٠هـ، مصر.

أقطار الشرق والغرب، ولم يزل يطلق الأوربيون على نسيج دقيق اسم "موزلين" قلدوا به صناعة نسيج موصلي جميل، كان يصدر إلى أوربا، وسموه موسلين- موصلي- ليلاقي رواجاً.

وذكر أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري عند كلامه عن الموصل(٥): "أنه يعمل في الموصل ثياب رقاق لا توجد في معمورة الأرض إلا فيها، وهي ثياب أرق من الحرير، وهي من القطن قياماً وطعمة، وقد يعمل في بلاد العراق أنواع من هذه الثياب ولكن ليست كهذه."

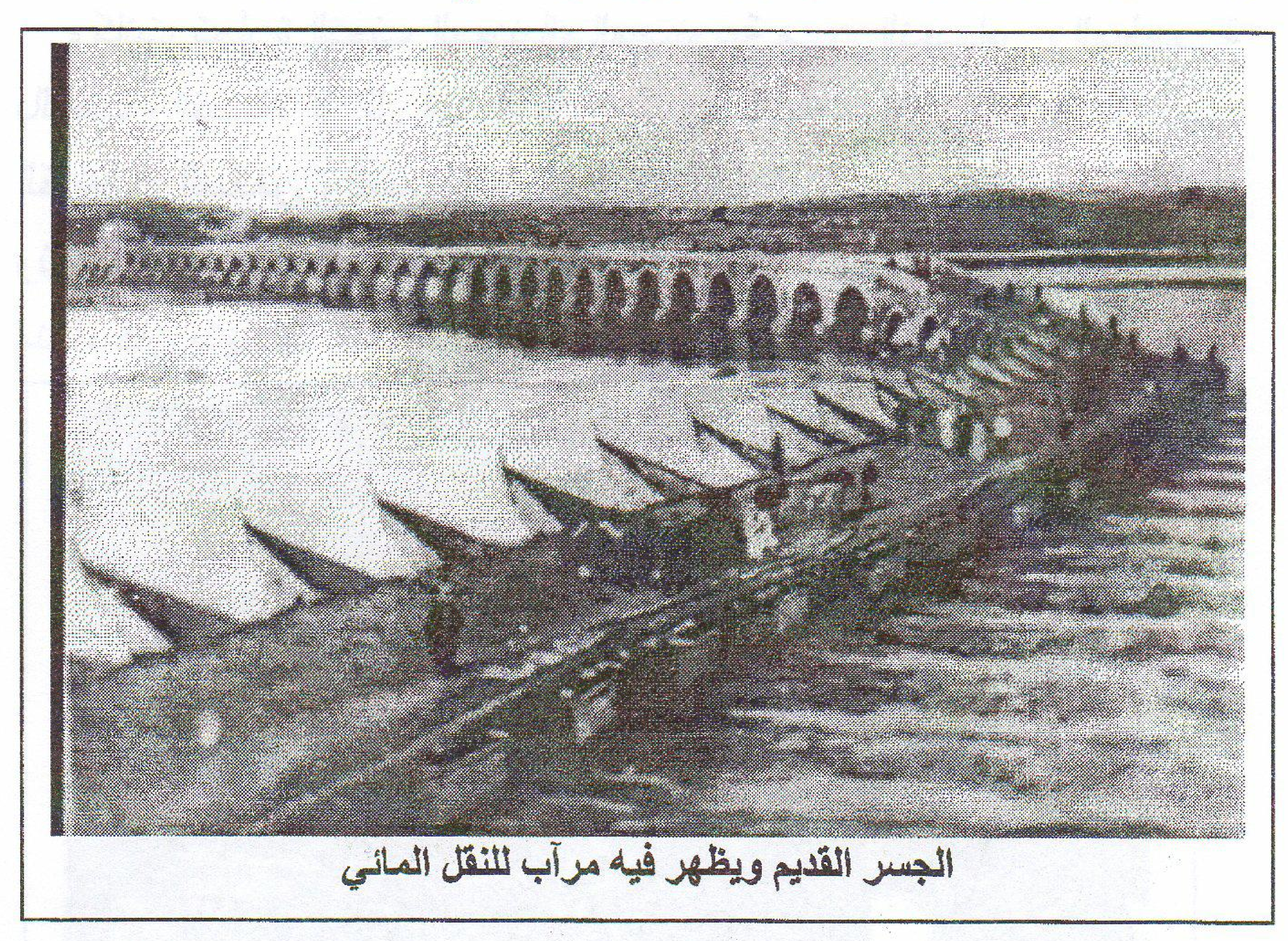
وكانت تجارة التحف المعدنية، المصنوعة من النحاس والمطعمة بالذهب والفضة، لا تقل أهمية عن المنسوجات، وصارت الموصل في القرنين- السادس والسابع للهجرة- من أهم المدن التي تنتج هذه التحف، وتصدرها إلى الشرق والغرب- ولم يزل في متاحف العالم عدد كبير منها، كان يتهاداها الملوك والمترفون، ويزينون بها موائدهم ومجالسهم.



قيسرية الصفارين

(٥) الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، "كتاب الجغرافية"، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر.

وازدهرت التجارة في الموصل، وامتدت تجارتها شرقاً إلى إيران والهند والصين، وشمالا إلى الأناضول وأرمينية وأذربيجان، وغرباً إلى سورية ومصر، ومنها إلى أوربا، ففي أسواقها تلتقي القوافل العديدة، من العراق وإيران محملة ببضائع الهند والصين، وتحط بها قوافل الأناضول ومعها بضائع أرمينية وأذربيجان، وتخرج من الموصل عشرات القوافل يومياً، تحمل حاصلات البلد وصناعتها وما وصلها من بضائع الشرق وطرفه، وتسير إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، فيأخذها التجار البنادقة والجنويون وأهل مرسيليا، ويوزعونها في أقطار أوربا(٦).



الجسر القديم ويظهر فيه مرآب للنقل المائي

---

(٦) البنادقة أهل مدينة البندقية إحدى مدن ايطاليا، وكذا الجنويون، أهل جنوده من مدن ايطاليا ومرسليا من موانئ فرنسا على البحر الأبيض المتوسط، وكان لهذه المدن تجارة واسعة مع بلاد الشرق، وكانت سفن الموصل والبصرة ترفأ في باب الشعير في بغداد.

ولذا عدّ ياقوت الحموي[٧] الموصل إحدى بلاد الدنيا العظام فقال عنها: "هي محط الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي بـاب العـراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان وكثيراً ما سـمعت أن بـلاد الدنيا العظام ثلاث: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قلّ ما لا يمر إلا بها.

فتجد في أسواقها تجارة الشرق والغرب، ويقول عـن هـذا يـاقوت الحموي: "وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلا ووجد فيها".

ومما يؤيد لنا سعة تجارتها أنه كان فيها سنة ٦٦٠هـ، ٣٦ سـوقاً كبيرة، وعدد دكاكين المدينة ٤٨٥١٥ دكاناً، وفيها عشرات القيـسريات، وفيها قيسرية خاصة لبيع الروائح العطرية تسمى قيسرية المسك، وفيهـا أحد عشر حانوتاً.

ومن قيسرياتها الكبيرة، القيسرية التي بناها مجاهد الدين قيماز المتوفى سنة ٥٩٥هـ- ٢١٩٨م، ويصفها ابن جبير الذي زار الموصل سنة ٥٨١ فيقول: "وفي سوقها قيسرية للتجار، كأنها الخان العظيم، تنغلـق عليهـا أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين، وبيوت بعضها على بعض، قـد جلـى ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له، فما أرى في البلاد قيسرية تعدلها".

وكانت قيسرية الجامع النوري من أكبر قيسريات البلد، أوقفهـا نـور الدين محمود للجامع النوري، وعدد دكاكينها ٦٩٩ دكاناً.

وصار في الأرباض المحيطة في البلد أسواقاً، وخانـات، وقيـسريات كثيرة، وكان كل ربض كالمدينة بعمرانه وحركته التجاريـة- ولمـا زار الموصل ابن جبير نزل الخان المجاهدي، قرب الجامع المجاهدي- جامع الخضر- وهو في الربض الأسفل من المدينة.

---

(٧) الحموي، ياقوت، "معجم البلدان"، ١٩٩٣م، مصر.

أما المواصلات: فكانت تعتمد على الطرق البرية في الدرجة الأولى، ولذا كثرت فيها الخانات والفنادق والساحات الكبيرة.

وكان في المدينة جسران: أحدهما الجسر القديم الذي أدركناه، وهو الذي كان قد بناه مروان بن محمد.

ولما توسعت تجارتها وزادت القوافل القادمة إليها من الشرق، ضاق الجسر، فأنشأ مجاهد الدين قيماز جسراً ثانياً يصل بين الربض الأسفل والجانب الشرقي، وكان أمام الجامع المعروف اليوم بجامع الخضر.

أما الطرق النهرية: فكانت الأكلاك تنحدر إليها من ديار بكر وجزيرة ابن عمر محملة بأنواع البضائع وتستمر إلى بغداد، كما كانت السفن تسير بينها وبين بغداد زمن الفيضان، وذكروا أنه كان في الموصل سنة ٦٦٠هـ (٢٥٠) سفينة عدا الأكلاك الكثيرة والتي أدركناها إلى أوائل القرن العشرين، ثم توقفت بانتشار السيارات والقطارات.

وذكروا أنه كان في المدينة ثماني عشرة درجية، ينزل منها إلى دجلة لتحمل الأكلاك والسفن وغيرها.

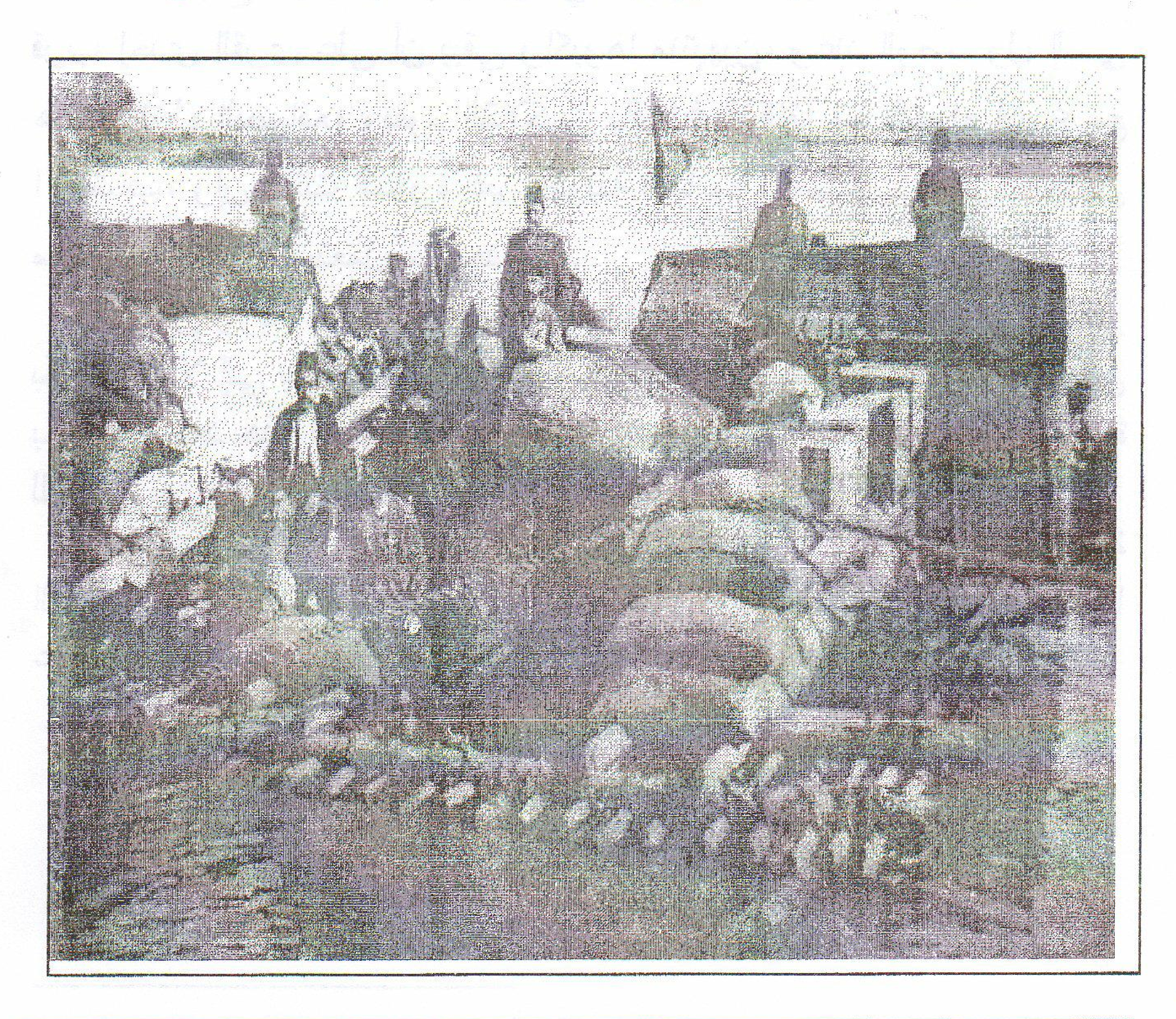
ويذكر دوبريه في كتابه رحلة دوبريه إلى العراق (١٨٠٧-١٨٠٩م)[٨] أن الكلك هو"نوع من المواخر، مربع طويل يستند على عارضتين قويتين من الخشب مصلبتين، وتنشر عليهما أغصان الصفصاف، وتربط إليهما من الأسفل ظروف من جلد الماعز، فتنفخ بالهواء، وترتب بطريقة تتيح عند الحاجة للكلاّك أن يعيد نفخ الزقاق أثناء السفر، إضافة على ذلك ترتب بين الزقاق حزم من الأغصان بحيث إذا اصطدم الكلك بضفاف النهر تحول هذه الحزم دون أن يلحق الأذى بالكلك، وهذه الزقاق هي التي تحمل الكلك فيطوف".

---

(٨) دوبريه، "رحلة دوبريه إلى العراق"، ترجمها عن الفرنسية إلى العربية وعلّق عليها: الأب د.بطرس حدّاد، دار الوراق للنشر، ٢٠١١، ص٧٢.

ويذكر أنه عندما تحمل الأكلاك بالبضائع، توضع تحت الصناديق حزم من عرق السوس بارتفاع يقارب المتر أو نحو ذلك، فتتكون بينها ممرات تسهل التنقل من المقدمة إلى المؤخرة، وكذلك لنفخ الظروف عند الحاجة. ويفرش التجار فوق صناديق البضائع سجادة للجلوس عليها.

يستعمل الكلاّك قطعتين من الخشب بمثابة مجذافين يضعهما في وسط الكلك، وكل واحدة تمتد إلى ناحية منه فتفيدان للقيادة والتوجيه، ويكفي عادةً رجلان لقيادة الكلك. بالإمكان الانتقال من الموصل إلى بغداد في الصيف بتسعة أيام، وفي الربيع في خمسة أيام إن لم يعاكس الريح الكلك.



الكلك من وسائط النقل التي كانت بين الموصل وبغداد وبين جزيرة ابن عمر وديار بكر والموصل

إن فصل الربيع هو الزمن الأفضل للملاحة في دجلة، ليس فقط لأن النهر يجري سريعاً، بل لأن الماء الذي يملأ النهر الأكلاك تسير في وسطه دون أن تخاف من هجوم العرب الكامنين بين الأدغال على ضفتيه، والذين يسلطون الكلاليب على أكياس البضائع ويسحبونها في الماء. وفي بعض الأحيان يأتي هؤلاء اللصوص سباحة لزيارة المسافرين لا أكثر حاملين ألبستهم وأسلحتهم فوق رؤوسهم، ومن أجل التخلص منهم يوزع المسافرون عليهم قليلاً من التبغ التدخين.

هذه الأنواع من المواخر تسير في النهار فقط، فإذا حلّ الليل تتوقف قرب إحدى القرى على أن يبقى راكبوها منتبهين، وعند الوصول إلى هدفها تنزل البضائع، ويقوم الكلاّكون بإفراغ الزقاق من الهواء فتباع مع الأخشاب، وإن كانت السفرة غير طويلة فإنهم يحملون القرب إلى مصدرها الأول لتستعمل من جديد[٩].

بالإمكان رؤية هذه الأنواع من المواخر أي الأكلاك اعتباراً من ديار بكر ونزولاً إلى بغداد، فهي الواسطة الوحيدة التي تستعمل للوصول إلى بغداد، إذ بعد هذه المدينة تصبح المياه أعمق ولذلك تستعمل سفن كبيرة للتجارة بين بغداد والبصرة[١٠].

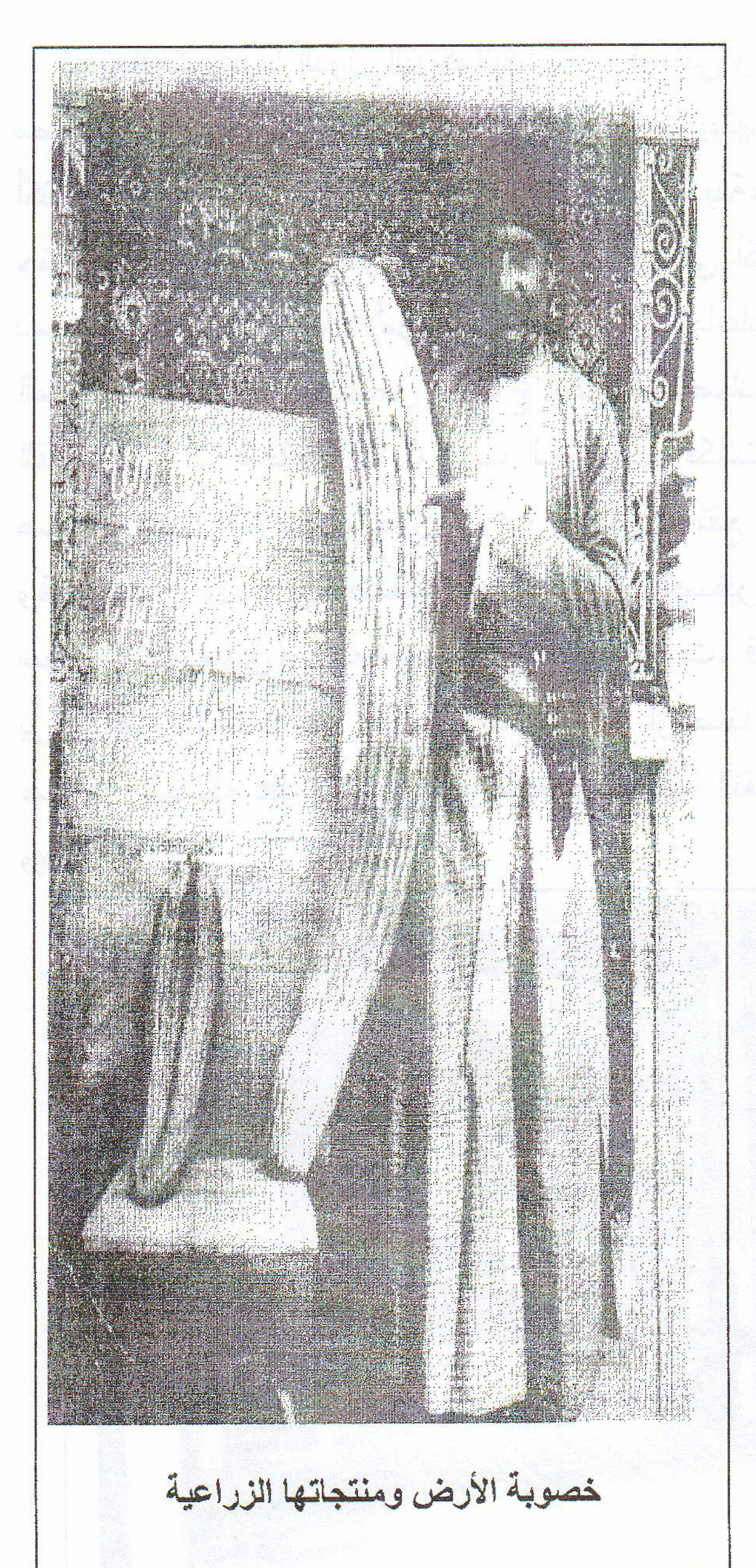
ومما يؤيد لنا عظم الحركة التجارية في البلدان انه بلغت الدمغة اليومية التي تجتى من أسواقها عشرة آلاف درهم في اليوم، وهو مبلغ كبير يدلنا على ما كانت عليه المدينة من ثروة تجارية.

---

(٩) أو تباع في بغداد لتجار التمور ليكبسوا فيها التمور اللينة، ويسمون الواحد منها كيشة (ج: كيش) بفتح الياء.

(١٠) سليم طه التكريتي: الكلك كيف يصنع ويستخدم للنقل، مجلة التراث الشعبي، العددان ١١-١٣، ١٩٧٠، ص:٨٣.

وفي سنة (٦٦٠هـ -١٢٦١م) أرسل هولاكو جيشاً إلى الموصل بقيادة "سمداغو" فشدد عليها الحصار وضربها ضرباً قوياً، خرب أكثر أحيائها، وفتك بأهلها أسراً وتشديداً، فهاجر منها كثير من الصناع والتجار الذين سلموا من ظلمه، وقصدوا البلاد المجاورة ومصر واليمن، ولا يخفى ما كان لهذا من تأثير سيئ على تأخر التجارة والصناعة في الموصل.



خصوبة الأرض ومنتجاتها الزراعية

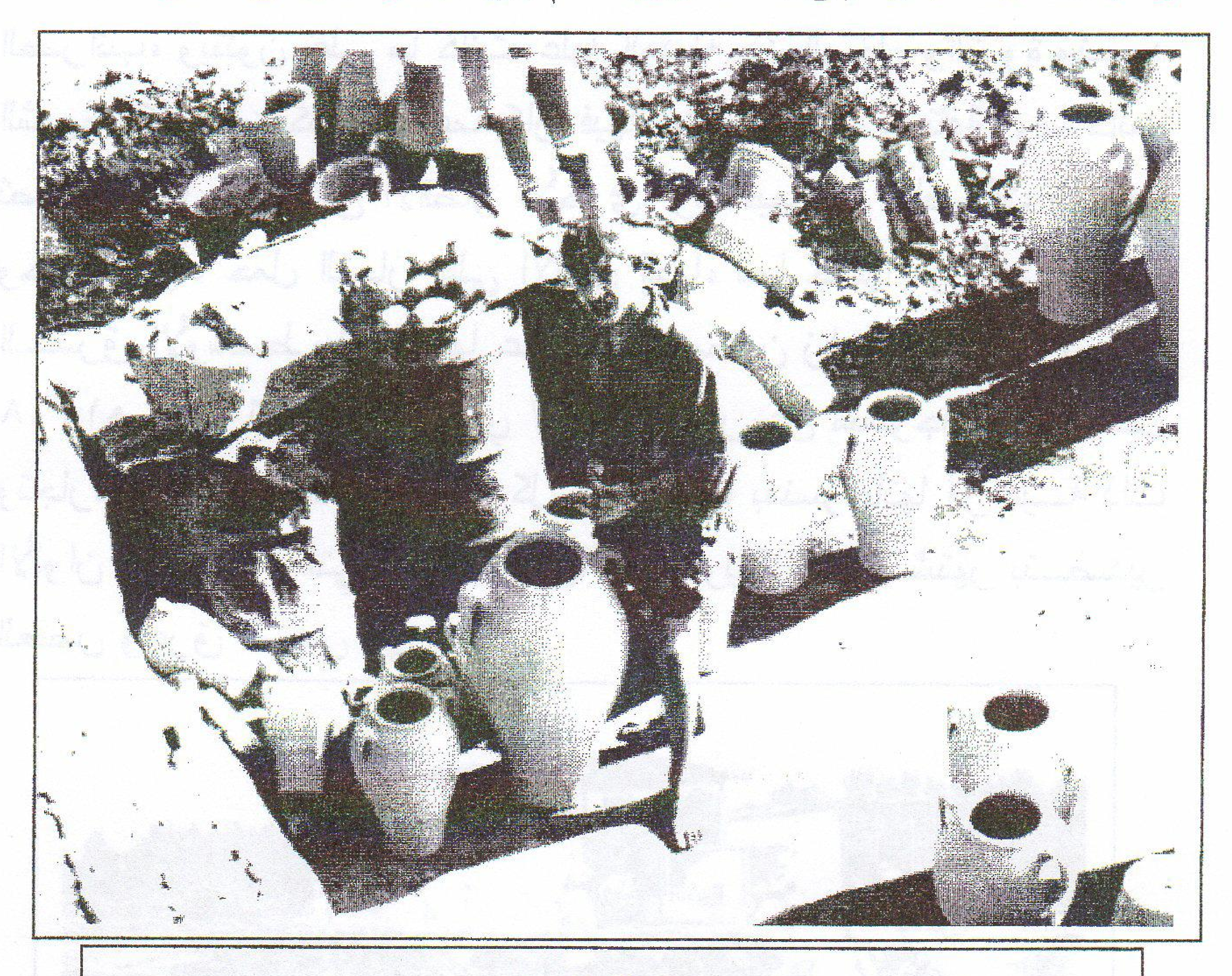
ثم أخذت الموصل تستعيد بعض نشاطها الاقتصادي ولم يمض عليها مدة حتى دهمها "تيمورلنك" بجيوشه الجرارة سنة (٧٩٦هـ -١٣٩٣م)، فدمر المدينة وقوض معالمها، وأهلك الحرث والنسل، ولم ينج من أهلها إلا القليل.

ثم تعاقبت عليها الدول التركمانية: القره قوينلي وغيرها، ولاقت المدينة مصائب وويلات من كثرة الحروب التي جرت بينهم على الملك، فأقفرت أكثر القرى وهلك أكثر الصناع والتجار من المدينة، وتقلص عمرانها حتى صارت أشبه ما تكون بقرية ينعب البوم في أكثر أحيائها التي دمرت، وانتشرت فيها الأمراض والأوبئة والمجاعات وانقطعت عنها المواصلات لكثرة اللصوص وقطاع الطرق ومصادرة الجيوش، فعز فيها القوت وندرت الحاصلات، وفقدت الحاجيات، فكانت المدينة في بقعة صغيرة وسط الموصل، حول تل سراي (الذي تقع عليه حمام السراي) وفيها بعض الأسواق الصغيرة مثل: السوق الصغير والسراجخانه وجهار سوك (شهر سوق)، وبعض الدكاكين بين البيوت، فكانت المدينة في حالة يرثى لها، ولم نجد ذكر للتجارة مع غيرها أو صناعة تصدرها، اللهم إلا صناعة الحياكة فقد كانت تصدر بعض الأقمشة النفيسة إلى سورية ومصر.



صناعة الحياكة في الموصل

وفي القرن العاشر للهجرة تنازع الصفويون والعثمانيون على احتلال الهلال الخصيب، وجرت بينهما حروب كان لها أثر سيء على الموصل، احتل العثمانيون هذه البلاد سنة ٩٢١هـ، وبذلوا اهتماماً في الموصل، لأنها تقع على الطريق الذي يؤدي إلى إيران- بلاد الصفويين- وغيرها من الأقطار فحصنوا المدينة وشيدوا فيها قلعة عززوها بحامية، وبنو عدة قلاع على الطريق الموصل بينها وبين بلاد الشام، فأمنت الطرق، وأخذت الموصل تستعيد مركزها التجاري مع بلاد الشام، وخاصة مدينة حلب، ومنها تنتقل التجارة إلى بلاد سورية، ثم إلى البحر الأبيض المتوسط.



صناعة الفخار

كما كانت تنحدر إليها الاكلاك المحملة ببضائع وحاصلات تركية، ومنها إلى بغداد، واتصلت تجارتها بإيران فكانت قاعدة تجارية كبيرة في الشرق الأوسط، فاتسع عمرانها وكثرت أسواقها فكان لكل بضاعة سوق

أو أكثر كما قصدتها القوافل من اختلاف الجهات حاملة بضائع الهند وإيران وسورية وأوربة، وتنقل منها ما تنتجه الموصل إلى هذه البلاد.

وقد أعجب الرحالة الذين زاروا الموصل خلال هذه الفترة بما كانت عليه المدينة من غنى واسع، وكثرة الخيرات واختلاف الصناعات، وتجارة مع الأقطار المختلفة وسعة عمران فهم يكادون يجمعون على أنها إحدى بلاد الشرق الأوسط في التجارة والصناعة والعمران، وسهولة المواصلات بينها وبين الأقطار الأخرى، وأن التجار يجدون فيها كل ما يحتاجونه من السكن والأمن وحاجات العيش وحسن معاملة الموظفين وقلة الضرائب، ويثنون على ما كانت عليه المدينة من الرخاء والثروة ونجد الشيء الكثير من كتاباتهم عما كان فيها من صناعات مختلفة، وما كانت تصدره منها سنوياً إلى الأقطار الأخرى، وما فيها من حاصلات زراعية وحيوانية وما حمل التجار على الإقبال إليها، مما جعلها من أغنى بلاد الشرق الأوسط وأوسعها عمراناً، وممن زار الموصل (سنة ١٠٦٨هـ=١٦٥٧م) هو "بولاي لاغيز"، وذكر عن منسوجات الموصل وتجارتها: وتشتهر الموصل في كل أنحاء آسيا بمنسوجاتها الزاهية ذات الألوان الحمراء، والتي تحتفظ ببهائها مدة طويلة. كما تشتهر بتصدير العفص وعرق السوس إلى أوربا.



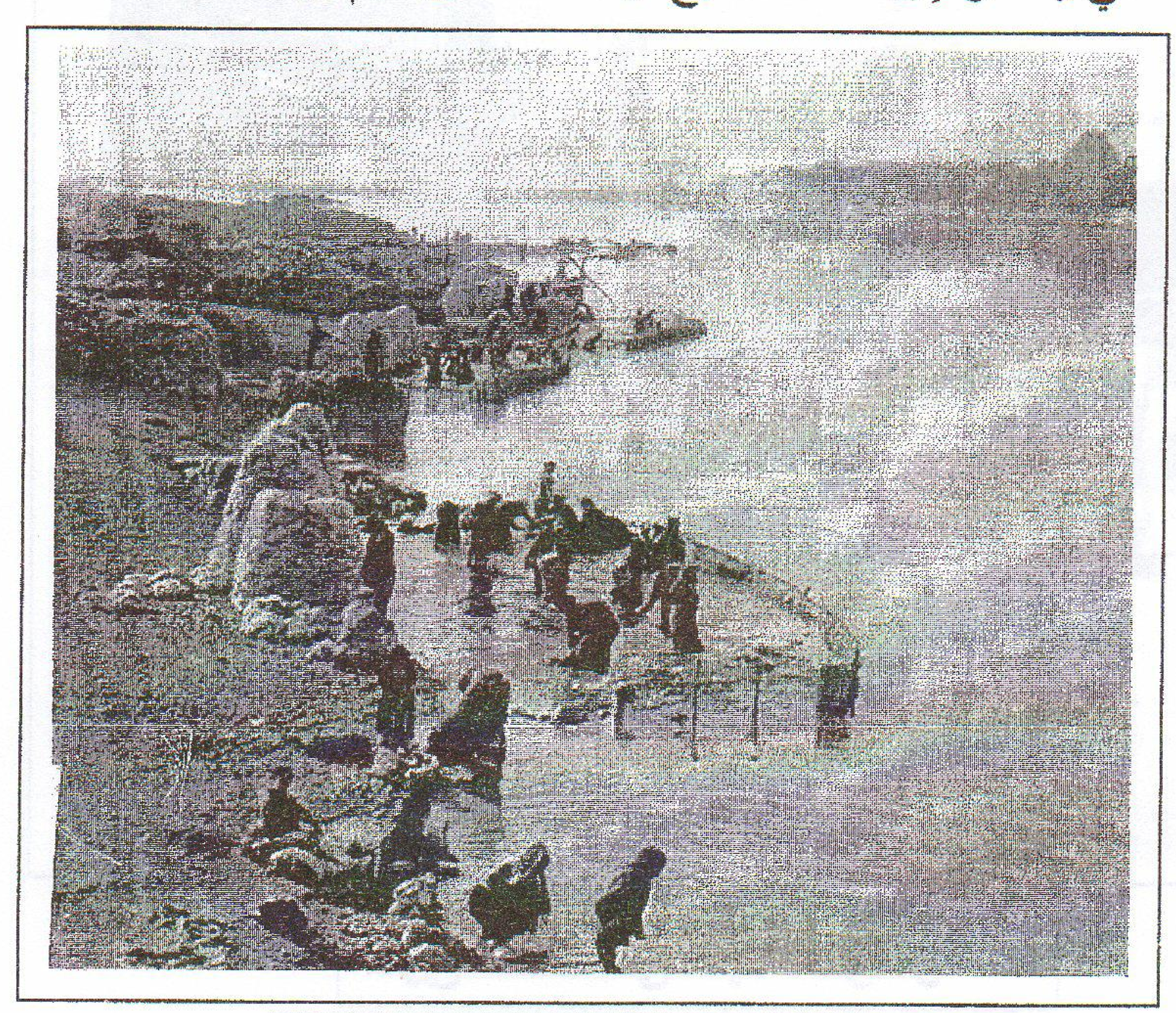
الكَب في الموصل قديماً

أما "أوتير" فإنه زار المدينة بعد زيارة "بولاي" بثمانين عاماً سنة (١١٤٩هـ =١٧٣٦م)، وهو معجب بأهل الموصل وشجاعتهم، وسعة تجارتها، ومما قاله عنها: والمدينة غنية وسكانها شجعان، وهي ذات تجارة واسعة، وتصنع فيها المنسوجات القطنية، ذات الألوان البيضاء والسوداء كما تستورد السلع الهندية التي يؤتى بها عن طريق البصرة وتنتقل من الموصل إلى حلب، لتبادل بالجوخ والسلع الأوربية الأخرى.



سوق الحنطة فى مدينة الموصل

أما "الأب لنزا" الذي أقام في الموصل في سنة (١٧٥٤هـ = ١٧٧١م)[١١]، فإنه معجب بما في المدينة من كثرة الحبوب والأثمار واللوازم ورخصها وتوفرها كل وقت في البلد ويذكر عن البضائع التي تردها من الأقطار الأخرى فيقول: "في الموصل جميع أنواع البضائع المجلوبة إليها من إيران والهند وأوربا ومن أقطار أخرى من هذه المملكة- المملكة العثمانية. ويتكلم عن أهمية النسيج الموصلي وما تصدره سنويا إلى الأقطار الأخرى ويدر على البلد ثروة طائلة، ويشبه الموصل: "بأنها معمل كبير لإنتاج نسيج القطن، فكأن أهل البلد كلهم مشتغلون بهذا العمل الذي يغدق عليهم خيرات كثيرة بتصديره واستيراد بضائع أخرى من البلاد التي يصدر إليها هذا النسيج فيتضاعف ربحهم بهذا.



غسل الصوف على شط الكَصه

---

(١١) لنزا، دومنيكو، (١٩٥٣)،"الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لنزا"، ترجمة: القس روفائيل بيداويد، الموصل.

ويقول في هذا: "توجد في الموصل أنواع البضائع المستوردة إليها من إيران والهند وأوربا ومن الأقطار الأخرى التابعة إلى الإمبراطورية العثمانية إلا أن تجارة الموصل- عدا الحبوب – هي الأقمشة القطنية.

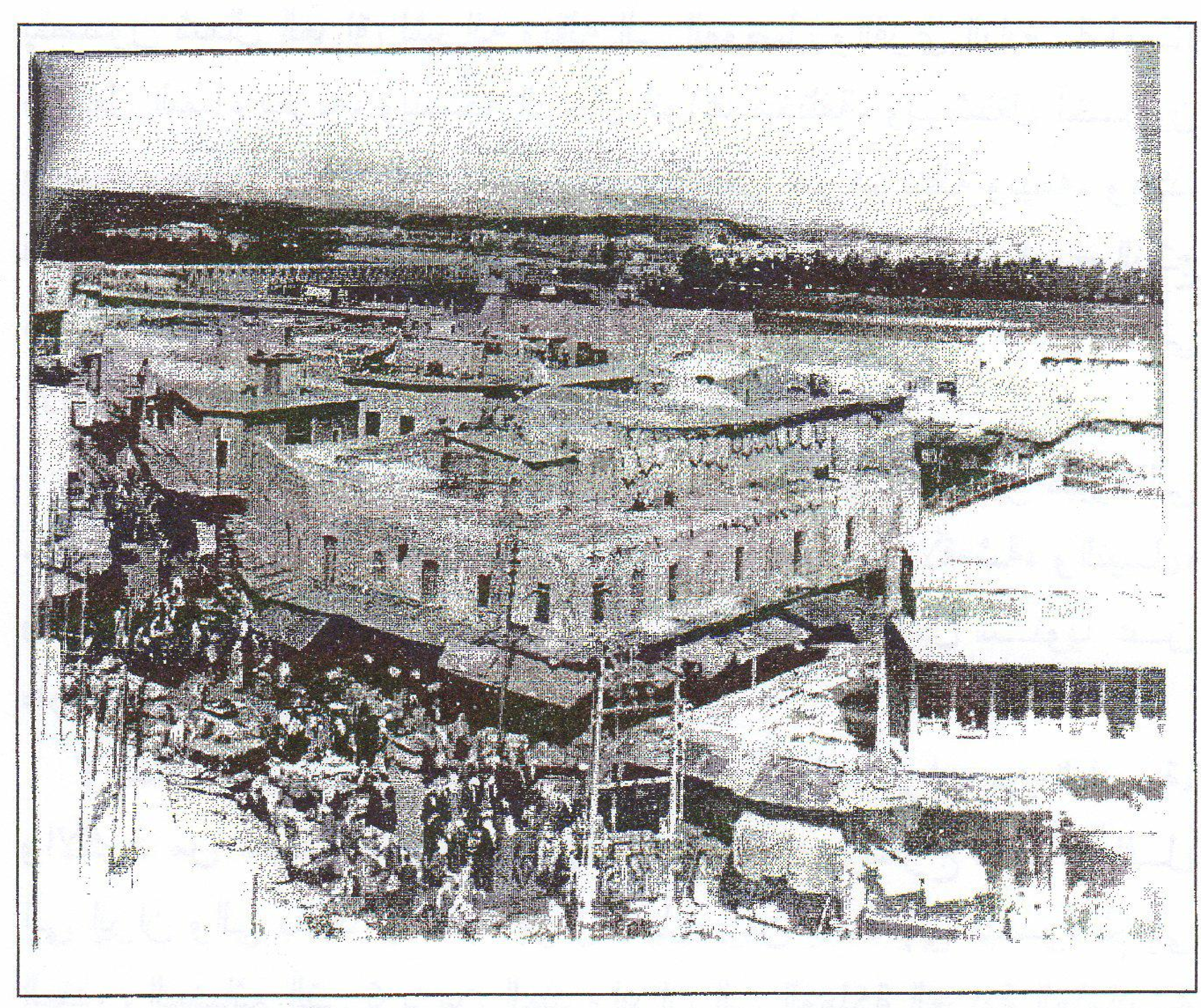
ويصدر منها كل سنة مقدار كبير إلى سائر الجهات ويمكن القول أن البلد بكامله يستفيد فائدة عظيمة من هذه التجارة، ففي القرى التي يكثر فيها الماء يزرع القطن بكثرة، ولا يكفي لحاجة البلد، ولذا فكثير من الناس يقصدون شمال العراق لشرائه ونقله إلى الموصل والقرى التابعة لها، فتشتغل النساء بغزله، وينسجه الرجال أنواعا مختلفة، ويشتغل آخرون بقصره وصبغه بأنواع وصور مختلفة ويشتغل غيرهم بنقله وبيعه، وهكذا فالجميع تقريبا يشتغلون به. إن الاتجار بهذه الأنسجة رائج، والربح الناتج منها للبلد وفير، ويستورد الأهالي بما يبيعونه في تجارتهم من شتى الأقطار المواد التي يحتاجونها لأشغالهم".

إن العفص كبير في شمال العراق، ينقله الموصليون بمقادير كبيرة إلى حلب ويبيعونه للتجار الأوربيين، ويبتاعون الأجواخ، والأقمشة، والنيل، وغيرها من البضائع الأوربية، وتستورد الموصل من النيل سنوياً عن طريق حلب ما يزيد ثمنه على مليون قرش.

"وتستفيد الموصل من موقعها الجغرافي، فيأتيها الأعراب من البادية، والأكراد من الجبال، ويبتاعون منها ما يحتاجونه، وتخرج منها القوافل إلى إيران والى بغداد أيضاً بالنهر والسهل، ومن بغداد إلى البصرة ثم إلى الهند، والبضائع التي ترد من الهند وإيران إلى المملكة العربية العثمانية تمر بالموصل... الخ".

ويتكلم عن رخاء المعيشة فيها وتوفرها بكثرة فيقول: "إن المواد الغذائية الضرورية في هذه الولاية ارخص قيمة من سائر الولايات، خاصة الخبز والعنب والخوخ وما أشبه ذلك، وهي زهيدة الثمن نظراً إلى الكميات الكثيرة المتوفرة فيها".

وزار الموصل الدكتور ادوارد ديفز سنة (١١٦٨هـ-١٧٥٤م)، وشاهد الموصل في أوج عزها بعد أن صد أبناؤها جيوش طهماسب وارتدوا عنها خائبين، وهو معجب غاية الإعجاب بما تنتجه الموصل من الأقمشة الكثيرة التي تصدرها إلى أوربا فيقول، "وصناعة الموسلين مزدهرة في الموصل، وهو قماش متين جداً، ناعم الملمس، تصدر منه المدينة مقداراً كبيراً إلى الأسواق الأوربية وغيرها".



أحد أسواق الموصل -باب الطوب-

وشاهد الموصل الرحالة كارستن نيبور سنة (١١٧٤هـ-١٧٦٦م)[١٢]، وهو عالم جليل كان معه بعثة علمية، وامتاز بكتاباته الدقيقة عما شاهده في البلاد، وفي كتاباته ثناء على رخص أسعار الحاجيات في الموصل، وكثرة الخانات النظيفة الواسعة، وما فيها من لوازم الراحة والأمن وهي معدة لنزول التجار ومن يقصد المدينة، كما أثنى على حماماتها ومقاهيها وأسواقها وهي جميلة ونظيفة.

وذكر أن في الموصل حركة تجارية واسعة النطاق فيردها من كردستان سنوياً أكثر من ألفي قطار من البندق واللوز والجوز، وتصدرها إلى حلب، وفيها مصانع كثيرة للنسيج والحياكة والصناعة وطبع النقوش على الأقمشة.

وزار الموصل الرحالة الانجليزي (ج.أ. اليفي ١١٩٩هـ-١٧٩١م)[١٣]، وأثنى على خانات الموصل وما فيها من أسباب الراحة، حماماتها ومقاهيها النظيفة، وعلى الحركة التجارية الواسعة التي كانت في المدينة فقال عنها "الموصل" إحدى أسواق الشرق الكبرى، وأن أكثر المنسوجات والعقاقير والسلع الواردة من الهند إلى البصرة. تنقل إليها من بغداد، ثم منها تصدر إلى القسطنطينية، وتنتشر في آسيا الصغرى، وكذا القهوة التي ترد من اليمن، وبضائع إيران، وهي مستودع للعفص والكثيراء، والقطن الذي يكثر في القرى التابعة لها.

ويذكر عن صناعتها وأهميتها فيقول: "يصنع فيها سختيان (جلد مدبوغ) نفيس جداً، وكثيراً من المنسوجات القطنية، منها للاستهلاك المحلي، وقسم

---

(١٢) نيبور، كارستن، (١٩٧٦)، "رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عاشر"، ترجمة: الدكتور محمود حسين الأمين، بغداد.

(١٣) أليفي، ج، أ، "رحلة في الإمبراطورية العثمانية ومصر وإيران"، ترجم القسم الخاص بالموصل الدكتور داؤد الجلبي (مخطوط) نسخة منها في خزانة كتبي.

منه يصدر مع العفص والكثيراء إلى سوريا، فيبتاعه التجار الفرنسيون، ويرسلونه إلى مرسيليا، وعرف نسيج "الموسلين" نسبة إلى "الموصل" الذي كان يبتاعه الأوربيون".

ويذكر عن أهمية موقعها في طريق المواصلات بين جناحي الهـلال الخصيب، ومع إيران والهند فيقول: "البضائع الأوربية التي يحتاجها أهل الموصل تردها عن طريق حلب، فيردها العباءات من سـورية ويردهـا النحاس القديم المستعمل من حلب وأرمينية وشمال العراق والأناضـول، ويصدّر منها عن طريق بغداد- البصرة إلى الهند.



شارع النجفي في الثلاثينات

ويتكلم عن حاصلاتها الكثيرة، والرخيصة، وكثـرة البـساتين فيهـا، فيقول: فيها الفستق والتين والرمان والخوخ والمشمش والأجاص وثمـار

أخرى كثيرة كثمار أوربا، كما يكثر في القرى التابعة لها الحبوب والقطن بكثرة، ويربى فيها كثير من قطعان الأغنام والأبقار، وهو معجب بالمشروب الذي يتخذ من الزبيب والذي يسمى في الموصل "شربت".

ويمتدح الإدارة التي كانت عليها البلدة وارتياح أهل البلدة منها، والأمن الذي يسود البلد، ونزاهة موظفيها في معاملة الناس وحماية التجارة، مما أدى إلى وفرة الأرزاق المجلوبة إلى الأسواق وأدهشه رخصها وجودة أنواعها، وإن الإدارة سعت في تخفيض ضريبة ما يرد المدينة، وتسامح الكمارك مع التجار الذين يقصدون المدينة ببضاعتهم ويختم قوله عن هذا: لما رأى التجار والباعة أنهم محميون صاروا يتوافدن جماعات إلى الموصل، ويعانون تجارتهم بكل حرية وأمن، فكثرت إليها القوافل، وأن البلدة صارت تستهلك أكثر مما كانت عليه، ويمكن وصفها بمخزن كبير، واتسعت الصناعات وتضاعفت حاصلات الزراعة، فزاد عدد السكان، فعمّ الرخاء والسعادة.

أما في القرن التاسع عشر، فكانت تجارتها لا تقل في الأهمية عما كانت عليه في القرن الثامن عشر، نستدل على هذا مما كتبه عنها الرحالة الذين زاروها، وتكلموا بإعجاب عما شاهدوه فيها وممن تكلم عنها في هذا القرن:

جيمس بكنكهام الذي زارها سنة ١٨٠٦م(١٤)، وذكر أن أسواقها كثيرة، ووفرة ما فيها من خيرات، وحاجيات وسلع متنوعة، تردها من المناطق الجبلية القريبة منها. وفيها سوق واحدة جميلة البناء، حسنة التنسيق نجد فيها البضائع الأوربية بكثرة، وكذا ما يردها من إيران والهند وغيرها من البلاد الأخرى، فهي من المدن المزدهرة بتجارتها وثروتها.

---

(١٤) جيمس، بكنكهام، (١٩٨٦)، "رحلتي إلى العراق"، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد.

أما وليم هود فزارها بعد احد عشر سنة من زيارة بكنكهام، وهو معجب بما وجده فيها من تسهيلات لراحة التجار والقادمين إليها(١٥).

ووصف حماماتها، وجمال تنسيقها ونظافتها، وأنها من أجمل ما رآه في رحلته.

وذكر أن في المدينة ستة عشر خاناً مفتوحة لنزول التجار والمسافرين، وهي كبيرة جداً، وفيها كل وسائل الراحة والاطمئنان على الأموال.

وتكلم عن حركة تجارتها وما يردها من البلاد الأخرى، وأعجبه تجارة البسط والطنافس، وأدوات الحديد، وأواني النحاس، وما يتبع هذا من لوازم الخيل وغيرها مما هو كثير في البلد، ولها سوق رائجة مزدهرة، وهي تدل على ما في البلد من ثراء واسع وتجارة نشيطة، وثقة قوية بين التجار، ويقول: قلما نجد مثل هذا في غيرها من المدن.

وكتب بيردي فوصيل عن أهمية الموصل في الشرق الأوسط سنة ١٨١٤م(١٦): أن الموصل تؤلف مركزاً ثقافياً بالغ الحيوية، وكان قنصلنا في هذه الفترة يضعها فوق دمشق وبغداد وحلب، ويقول: بوسع القاهرة فقط أن تزعم مضاهاتها. وفيها ٣٥٠٠ مصنعاً للحياكة و٢٠ خاناً للتجار، و٣٥ حماماً.

وأثنى فيتال كنت سنة ١٨٩١م عن صناعاتها الراقية، التي أكسبتها شهرة واسعة بما كانت تصدره منها: الأقمشة المختلفة الجميلة، وأعمال السراجة التي لا تقل شهرتها عن النسيج الموصلي، وأواني النحاس التي تصنع فيها، وأدوات الحديد، وصياغة الذهب والفضة، ودبغ الجلود وغيرها من الصناعات المختلفة، والتي تدر خيرات كثيرة على المدينة.

---

(١٥) هود، وليم، "رحلة من ملبار إلى القسطنطينية ١٨١٧م"، نسخة خطية مترجمة عن الفرنسية.

(١٦) فوصيل، بير دي، (١٩٨٦م)، "السفير الفرنسي في العراق ١٨١٤-١٩١٤م، الحياة في العراق منذ قرن"، ترجمة: الدكتور أكرم فاضل، بغداد.

هذه كلمة عمّا كانت عليه تجارة الموصل من التفوق الاقتصادي وما كانت تصدره إلى الأقطار الأخرى، وما يردها من مواد مختلفة، فيتضح لنا مما ذكروه أن الموصل كانت في القرنين- الثامن عشر والتاسع عشر- من حواضر الشرق في التجارة والصناعة والغنى، وان تجارتها كانت تمتد إلى إيران والهند شرقاً، وإلى بلاد الأناضول شمالاً، وإلى سورية وأوربا غرباً، كان هذا للأسباب التالية:

١- نشاط أهل الموصل في صناعات كثيرة كانوا يمارسونها، وتفوقوا فيها فسدوا حاجة البلد، وصدروا الكثير منها مما فاض عن حاجتها إلى البلاد الأخرى.

٢- إقبال أهل الموصل على التجارة والسفر إلى البلاد، يحملون بضاعتهم، ويستوردون ما يحتاجه البلد من البضاعة، وما يصدرونه منها إلى بلاد أخرى.

٣- ما عرفوا به من الصدق والأمانة في معاملتهم مع غيرهم، فاكتسبوا به ثقة التجار الذين اتصلوا بهم وعاملوهم.

٤- حسن معاملة الموظفين وأصحاب الكمارك للتجار والتلطف معهم في معاملتهم، وقلة الضرائب التي كانوا يستوفونها منهم.

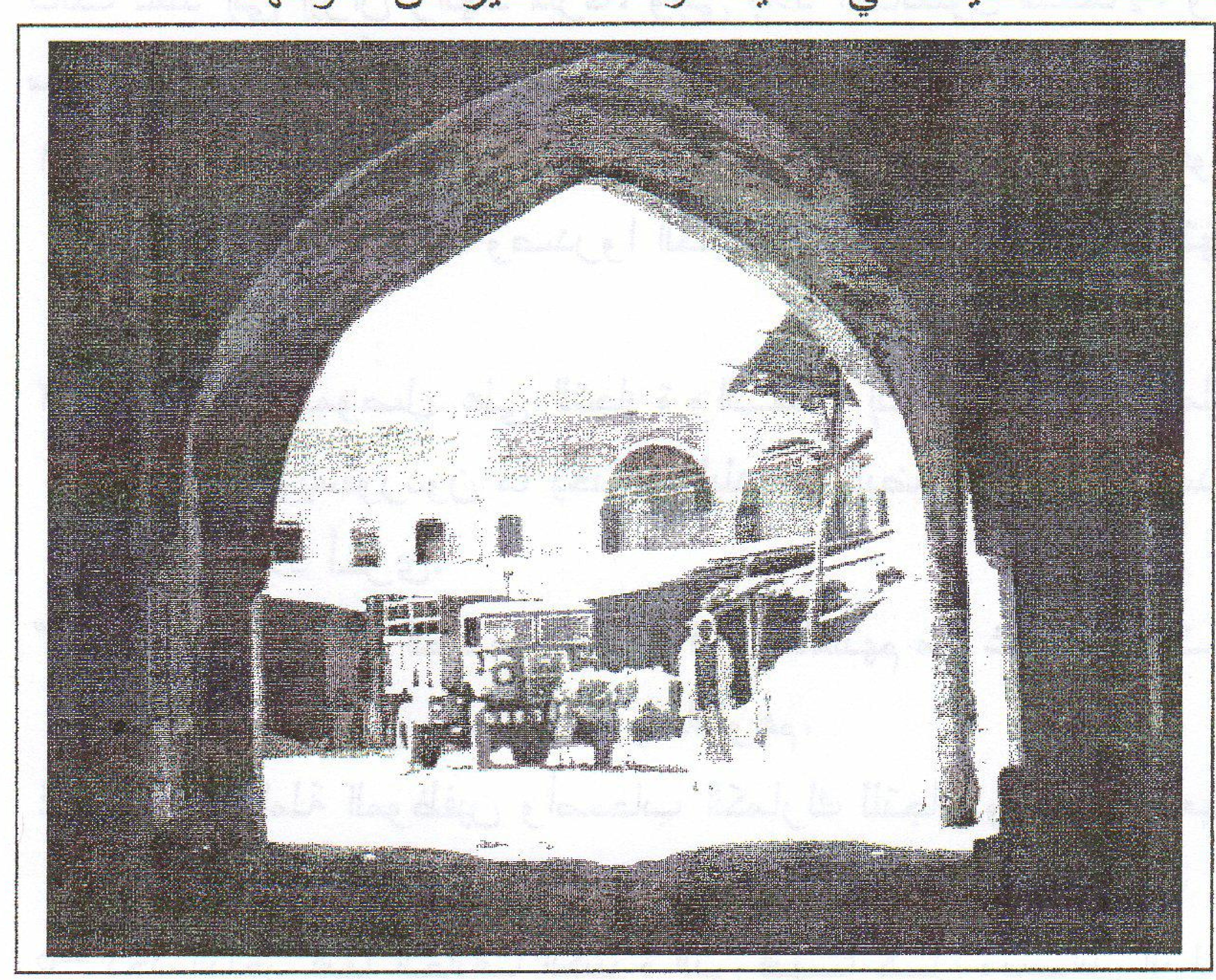
٥- يجد التاجر فيها الخانات الكثيرة التي فيها كل وسائل الراحة، والحمامات التي نالت إعجابهم والرحاب التي تسهل توزيع البضاعة، وكثرة وسائط النقل التي تشتغل بجد وأمانة.

فكانت القوافل التي تخرج من المدينة كبيرة، ذكر ياسين العمري في سنة (١٢١٧هـ -١٨٠٢م)[١٧] خرجت قافلة من الموصل مؤلفة من (٥٠٠) بغل يحرسها (١٥٠٠) رجل، وهي تدلنا على كثرة الصادرات

---

(١٧) العمري، ياسين بن خير الله الخطيب، (٢٠١٠)، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء- حققه ونشره- سعيد الديوه جي – الموصل.

التي كانت توزع منها إلى سورية، ثم إلى أوربا، واستمر الحال في هذه المدينة إلى سنة ١٨٦٩م، حيث فتحت قناة السويس فتحول عنها الطريق التجاري الذي كان يربط أوربا ببلاد الشرق، وفقدت المدينة الكثير من أهميتها التجارية، كما أن ظهور المعامل في أوربا، ورخص منسوجاتها أخرت صناعة الحياكة في المدينة، وفقدت الكثير من أسواقها.



خان حمو القدو

على أننا نود أن نبين أن الفترة التي تكلمنا عنها في القرنين الماضيين، تخللها مصائب وويلات في المدينة، من حروب مع إيران، ونزاع مع المدن المجاورة، وقلة الأمطار، وسقوط الثلوج، وتسلط الجراد على الزروع بكثرة وفيضانات دجلة وتوابعه، وانتشار بعض الأوبئة- كل هذا سبب مجاعات وأمراضاً وقلة في الغذاء، ولكنها لم تكن لمدة طويلة، حتى تتكشف الغمة ويعود الأمر في البلد إلى ما كان عليه.

وأدركنا الموصل في القرن العشرين، وتجارتها لا بأس بها فكان يردها من تركية عن طريق نهر دجلة بواسطة الأكلاك: الخشب وأحجار المطاحن والعسل والجبن والبندق وحبة الخضراء، والبطم والشاه بلوط والقضامي والسجق والتين والقيسي والأجاص وجلد الفرس، وقمر الدين والأغنام، ونوع من الأحذية السود تسمى "السعرتيه".

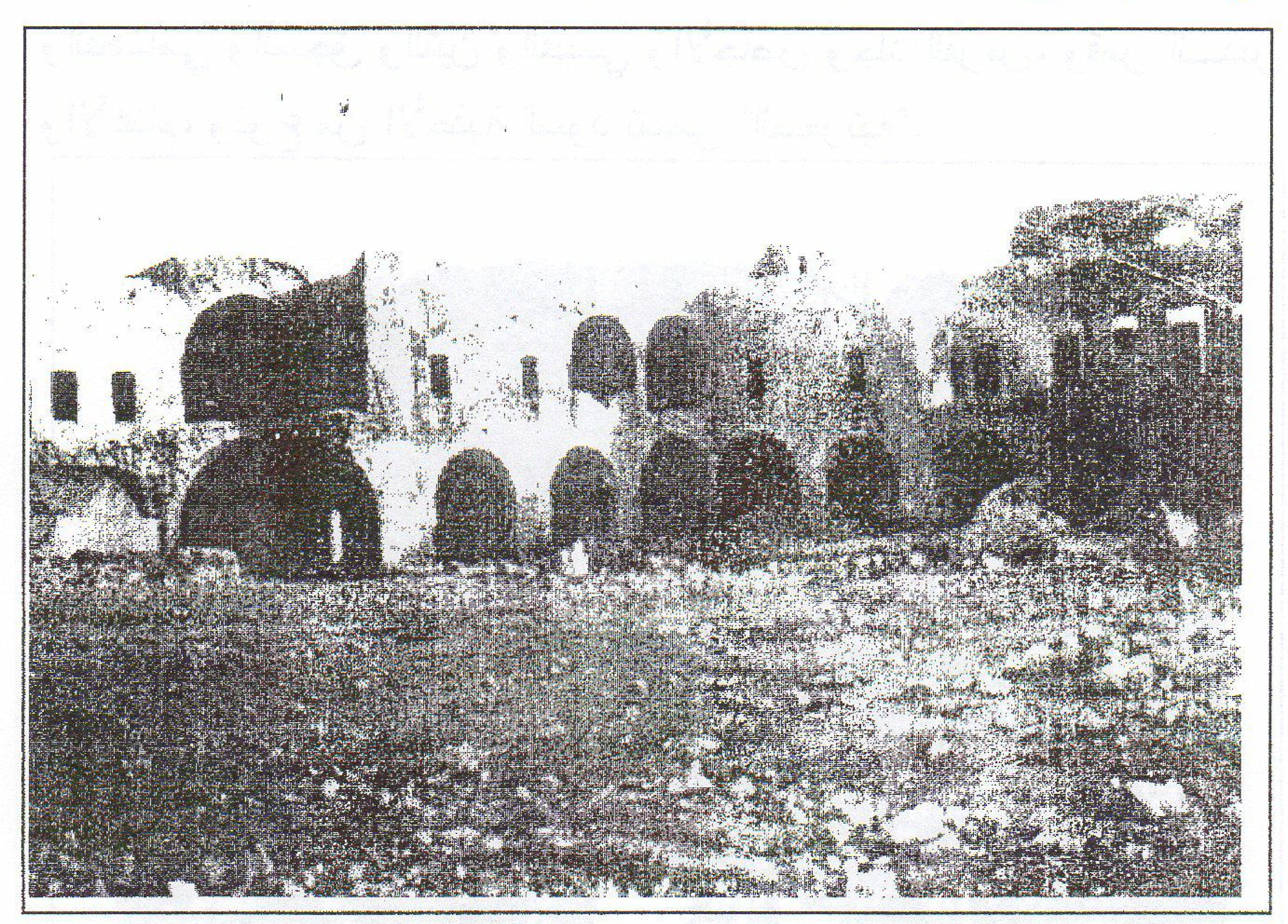


سوق في الموصل عام ١٢٣٢هـ-١٨١٦م (رحلة بكنكهام)

ويردها من سوريه: المنسوجات الحريرية: طاقات مختلفة يتخذون منها الزبونات للرجال. وأزر حرير للنساء. وما يرتديه النساء من أقمشة حرير ومناديل، والحلويات من صناعات سورية وعباءات للرجال، ودلاء القهوة (قماقم) التي تردها من دير الزور، ونوع من الأحذية الحمر للرجال تسمى "ايمني حلبية" كانت تصنع في حلب.

وما يردها من بضاعة أوربية عن طريق سوريا: أقمشة صوف، حرير، وسكر، وأواني الزجاج وغيرها.

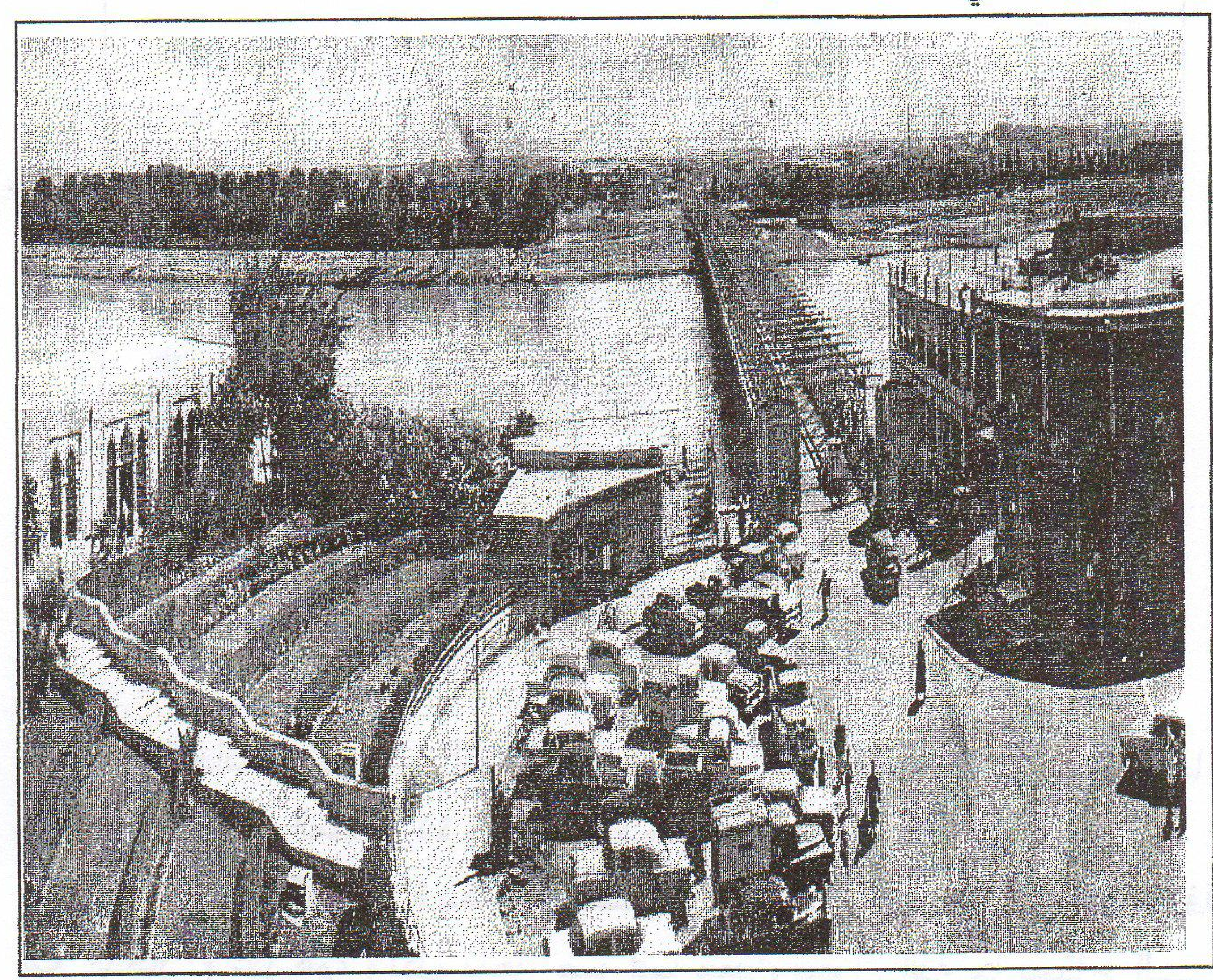
ويردها من بلاد إيران: الفواكه المجففة، والزوالي والبسط، وأقمشة صوف ثمينة يتخذون منها مقطنات تسمى "شالة" أو "خرقة" ويردها أنواع من الشال ثمين.



بقايا خان حمو القدو عام ١٩٧٥م

ويردها من بغداد التمر، وما يردها عن طريق البصرة من بضائع الهند والقهوة من اليمن، وجوز الطيب وجوز النرجيل "جوز النركيله" وتمر الهندي والتوابل والشاي. ونوع من نسيج الصوف يصنع في كشمير ويسمونه أيضاً "كشمير" ولا يزال أهل الموصل يسمون نسيج الصوف مهما كان نوعه "كشمير" وتصدر الموصل إلى سورية: الأغنام ويسيرون "البرخانات" في فصل الربيع ويعلقون في عنق كل نعجة "نعلا" للخيل يبيعونها في سوريا وتصدير نعل الخيل في هذه الطريقة إلى سورية معروف في الموصل منذ القرن الرابع للهجرة، وربما صدروا في السنة ما يقرب من نصف مليون دابة، وكانت تجارتها بها واسعة جدا، ويشتغل

عدد كبير من سكان الموصل بتربية الغنم وتصدرون الحبوب والأقمشة القطنية، والدلاء والروايا إلى البلاد الواقعة على نهر الفرات وخاصة دير الزور، ومنها توزع في سورية وكانت حرفة الروايا والدلاء متقنة في الموصل ولها سوق خاص يسمى "سوق الرواجيه" نسبة إلى صناعة "الراوي" فيه الراوية فكان الراوجيه يشتغلون في فصلي الشتاء والربيع، ويصدرونها في فصل الصيف.

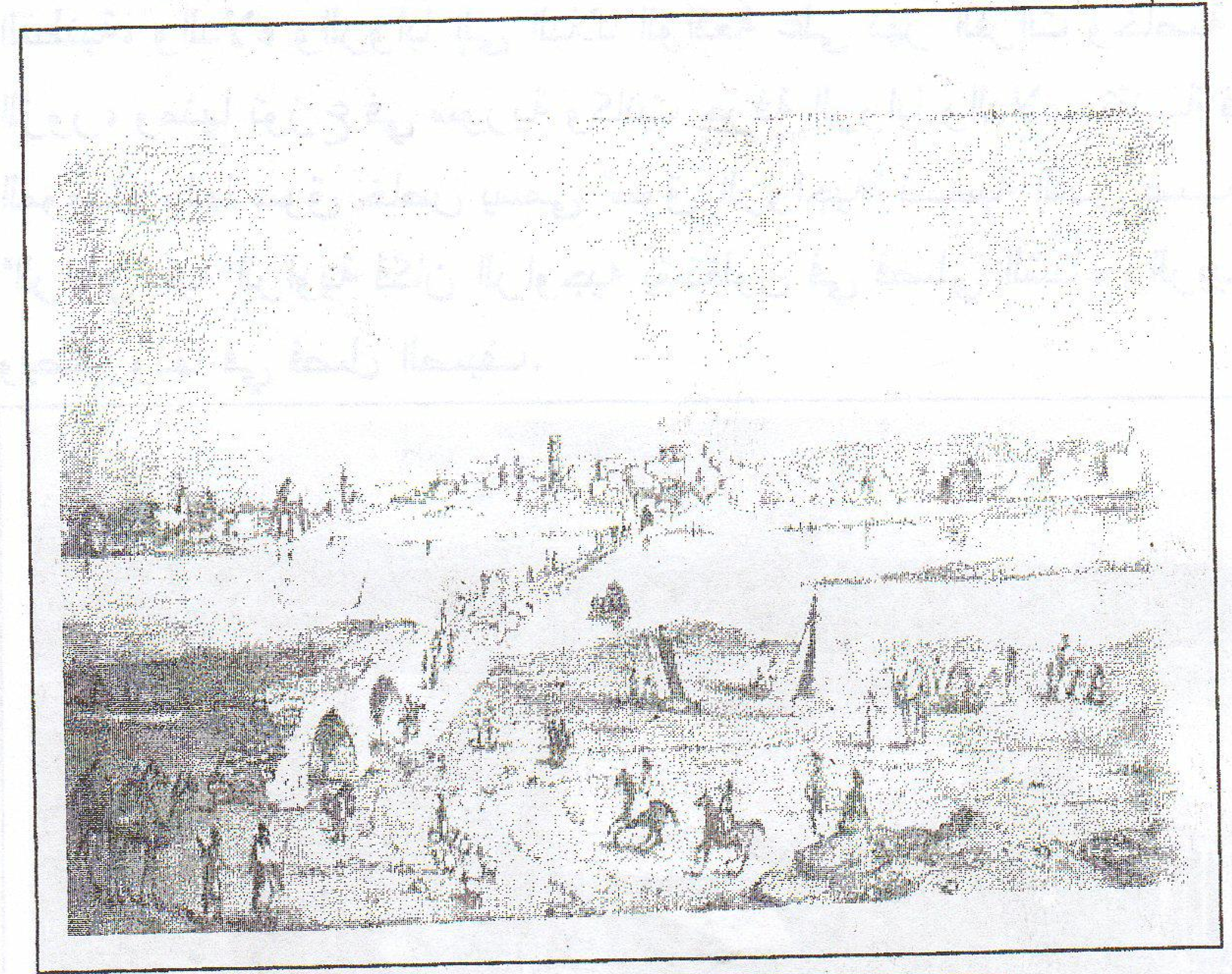


باب الجسر القديم وساحة البلدية

كما كانوا يصدرون الصوف والعفص وعرق السوس والكثيرا وغيرها.

والمركز التجاري في الموصل "ساحة باب الجسر" وما يحف بها من خانات ومقاهي وأسواق، ففي شاطئ النهر ترسو الأكلاك المنحدرة إليها من بلاد تركيا، وتفرغ حمولتها في "الاسكلات" إن كان خشباً أو أحجار مطاحن، وتفرغ بقية المواد في الكمرك الذي كان بجانب الجسر، وفوقه

(قهوة ذنون) وهي مركز التجار يجتمعون بهـــا، ويتــداولون مـــا يخــص تجارتهم.



جسر الموصل سنة ١٩٢٥م

وفي الخانات تكون مراكز التجارة، وكل خان لصنف معـــين منهـــا، تخزن به المواد المستوردة والمصدرة وتباع الصفقات فيها.

وفي الساحة المذكورة دكاكين الصرافين، وهم الذين يتعاطون الصيرفة مع التجار وغيرهم، ولكل تاجر صراف معين يحول إليه ما يحتاج إلـــى دفع، ويودع عنده ما يفيض عن تجارته، فالصراف أشبه ما يكون بالبنك في هذه الأيام.

وقرب الساحة وما بعدها، تكثر الأسواق والقيسريات، فلكل نوع مـــن البضاعة سوق أو قيسرية تعرف به، وعلى كل فإن تجارتها توقفت كثيراً بعد الاحتلال الانجليزي للبلد سنة ١٩١٨ فعزلها عن الأقطار المجـــاورة، واقتصرت تجارتها مع الهند بواسطة الانجليز، هذه نبذة سريعة عن تجارة بلدنا إلى أوائل القرن العشرين.

المصادر

١. ابن حوقل، محمد أبو القاسم، "مسالك والممالك للاصطخري"، لندن، ١٨٠٠م.

٢. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري، "الكامل في التاريخ"، مصر، ١٢٥٠هـ.

٣. أليفي، ج، أ، "رحلة في الإمبراطورية العثمانية ومصر وإيران"، ترجم القسم الخاص بالموصل الدكتور داؤد الجلبي (مخطوط) نسخة منها في خزانة كتبي.

٤. جيمس، بكنكهام، "رحلتي إلى العراق"، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٦م.

٥. الحموي، ياقوت، "معجم البلدان"، مصر، ١٩٣٤م.

٦. دوبريه، "رحلة دوبريه إلى العراق"، ترجمها عن الفرنسية إلى العربية وعلّق عليها: الأب د.بطرس حدّاد، دار الوراق للنشر، ٢٠١١م.

٧. الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، "كتاب الجغرافية"، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر.

٨. سليم طه التكريتي: الكلك كيف يصنع ويستخدم للنقل، مجلة التراث الشعبي، العددان ١١-١٣، ١٩٧٠م.

٩. العمري، ياسين بن خير الله الخطيب، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء- حققه ونشره- سعيد الديوه جي – الموصل، ٢٠١٠م.

١٠. فوصيل، بير دي، "السفير الفرنسي في العراق ١٨١٤-١٩١٤م، الحياة في العراق منذ قرن"، ترجمة: الدكتور أكرم فاضل، بغداد، ١٩٨٦م.

١١. المقدسي البشاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، مصر، ١٩٠٦م.

١٢. لنزا، دومنيكو،"الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لنزا"، ترجمة: القس روفائيل بيداويد، الموصل، ١٩٥٣م.

١٣. نيبور، كارستن، "رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عاشر"، ترجمة: الدكتور محمود حسين الأمين، بغداد، ١٩٧٦م.

١٤. هود، وليم، "رحلة من ملبار إلى القسطنطينية ١٨١٧م"، نسخة خطية مترجمة عن الفرنسية.

فهرست الكتاب